

ديوان
الأمير الشاعر
عَبْدُ اللَّه بن رَوَاحة رضي الله عنه

تحقيق

الشيخ محمد علي القطب





ديوان

الأمير الشاعر

عبد الله بن رواحة

رضي الله عنه

تحقيق

الشيخ محمد علي القطب



المكتبة العصرية

صيدا - بيروت



صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

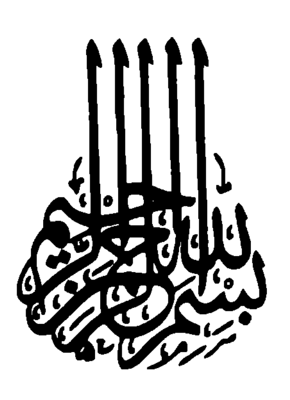
• المطبعة العصرية
بولفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى
٢٠١٠م - ١٤٣١هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 978 - 614 - 414 - 023 - 9



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد للَّه،

نحمده تعالى ونشكره، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذُ به من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده اللَّه فهو المهتد ومن يُضْلل فلن تجد له وليّاً مُرْشداً.

ونشهد أن لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمْد وهو على كل شيءٍ قدير، ونشهد أن سيدنا ونبيّنا ومولانا محمداً عَبْدُ اللَّه ورسوله، أرسله بالهُدى ودين الحقّ ليُظْهِرَه على الدين كُلِّه، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونَصَح الأمّة، وجاهد في اللَّه حق جهاده حتى أتاهُ اليقين، وتركنا على المحجّة

البيضاء ليلها كنهارها لا يضِلُّ عَنْها إلا زائغ هالك، صلوات ربي وتسليماته على هذا النبي الأمين، وعلى آله وصحبهِ أجمعين.

وَبَعْدُ...!

لم يكن ليخطر ببالي وعلى ذهني أَنْ أَبحَث عن شِعْر «عبد اللَّه بن رواحة» - رضي اللَّه عنه - فأجعله في ديوانٍ...، فالذي عُرِفَ عَنْه، ودُوِّن في كُتُب التاريخ والسِّيرة قليل... وقليل جدّاً مِنْ شِعْرِهِ...؛ ولكنه رَغْم ذلك كان شاعراً بكل ما في كلمة الشاعر من مَعْنى...، ففيه نَفْحةُ الشّاعرية، وإن كانت لا تتجلى إلا في المناسبات، ولا تظهر إلا مع الأَحْداث...!

ولقد كان لِشعْرِه ــ رغم قِلّتِهِ ــ وَقْعٌ طيّب وكريم لدى رسُول اللَّه ﷺ..، ولدى الصحابَة ــ رضوان اللَّه عليهم ــ، وباقٍ أَثَرُهُ على مدى الأَزمان.

وإلى جانب هذه الشّاعريَّة لدى «عبد اللَّه بن رواحة» فقد كان أميراً..!

ليس بالوراثةِ ولا في كسيِّد القبيلة..، ولكن بانتِدابِهِ على السَّرايا من قِبَلَ رسول اللَّه ﷺ، أكثر من مرَّةٍ...، أدّى فيها ما كُلِّفَ بِهِ ووُكل إليه، بأَحْسَنِ الأَداء، وأطيب النتائج.

لا يُمكننا ـ إطلاقاً ـ أن نَفْصل بين الترجمة لِـ«عبد اللَّه بن رواحة» وبَيْن ما جرى على لسانه من رجْزٍ وشعْرٍ. فكلاهما متلاصق، متواصل...!

ونعتذر للقارئ الكريم إنْ وَجَدَ بَعْضَ الاختلاف بين العنوان: [ديوان...] وبَيْن ما سَنَسْرُدُهُ في هذه العُجالة.

واللَّه نَسأل أَنْ يجزينا عن عملنا هذا أَحْسَنَ الجزاء وأَطيبه...!

إنه أكرم مسؤول وخَيْر مأْمول.

النَّقيب:

قال «كَعْب بن مالك»:

فلما اجتمعنا في الشِّعْب [ليلة بيعة العقبة الثانية] ننتظر رسول اللَّه ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه «العباس بن عبد المطلب» ـ وهو يومئذٍ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أَمر ابن أخيه وينوثق له، فلما جلس كان أوّل متكلم «العباس بن عبد المطلب» فقال: يا معشر الخزرج [وكانت العرب إنما يسمون هذا الحيَّ من الأنصار ـ الخزرج ـ خزرجها وأوسها]:

إن محمداً منا حيْث قد عَلِمتُم، وقد منعناهُ من قومنا مِمَّن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عِزّة من قومه، ومنعةٍ في بلدِه، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كُنْتُم ترون

أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه مِمَّن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم تروْن أنكم مُسْلِمُوهُ وخاذلوه بعد الخروج إليكم... فمن الآن فدَعُوه..، فإنه في عزةٍ ومنعةٍ من قومِهِ وبلده...!

فقلْنا له: قد سمعنا ما قُلْتَ، فتكلَّم يا رسول اللَّه فخُذْ لِنَفْسك ولربّك ما أحْبَبْتَ...!

فتكلم رسول اللَّه ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى اللَّه ورغّب في الإسلام، وقال: أُبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءَكم وأبناءكم..!

فأخذ «البراءُ بن معرور» بيده وقال: نعم فوالذي بعثك بالحق نبيّاً لنمنعنَّك مما نمنع منه أُزرنا[1] فبايعْنا يا رسول اللَّه، فنحن واللَّه أبناء

(١) أُزرنا: نساءنا.

الحروب وأهل الحلقة[١] ورثناها كابراً عن كابر ـ فاعترض القول: «أبو الهيْثم بن التيِّهان» فقال: يا رسول اللّه، إنّ بيننا وبيْن الرجال حبالاً وإنا قاطعوها (يعني اليهود) فهل عسيْت إن فَعَلْنَا ذلك ثم أظهرك اللّه أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

فتبسم رسول اللّه ﷺ، ثم قال: «بل الدَّم الدَّم، والهدْم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربْتُم وأسالم من سالمتم» . . .

«أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم. . .!».

فأخرجوا اثني عشر نقيباً: تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

وهم: «أبو أمامة أسعد بن زرارة»

---

(١) الحلقة: السلاح.

و«سعد بن الربيع» و«**عبد اللَّه بن رواحة**» و«رافع بن مالك بن العَجْلان» و«البراء بن معرور» و«عبد اللَّه بن عمرو بن حرام» و«عبادة بن الصامت» و«سعد بن عبادة» و«المنذر بن عمرو بن خنيس» ـ وهؤلاء من الخزرج.

ومن الأوس: «أُسَيْد بن حُضَيْر» و«سعد بن خيْثمة» و«رفاعة بن عبد المنذر».

وهنا يَظْهر اسم «عبد اللَّه بن رَواحة» ـ رضي اللَّه عنه ـ لأول مرةٍ...، نقيباً...، وهي مكانة وَرَمْزٌ لتقدّم الرَّجُل على غيره..، الذين زادوا على السَّبْعين!

الهجْرةُ:

بعد البيعة تتابع المسلمون فرادى وجماعاتٍ بالهجرة إلى المدينة...!

وبقي رسول اللَّه ﷺ في «مكة» حتى أذِن اللَّه تعالى لَهُ بالهِجْرة. . . !

وكانت الرِّحْلَةُ أعظم حَدَثٍ في تاريخ الدعْوةِ. . . !

وقد شرفَتِ المدينة بإطلالتِهِ ﷺ وبلوغِهِ «قُباء». . . ، وخَرَجَ أهل المدينة يرحِّبُون بمقدمه ﷺ، وقد انتظروا هذا اليوم بفارغ صَبْرٍ. . .

* * *

وقال قائلهم[1]:

ثوى في قريش بضْع عشرة حجةً
يذكّر لو يلقى صديقاً مواتيا

ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا

---

(١) أبو قَيْس بن الأسْلَت.

فلما أتانا واطمأنَّتْ به النوى

وأصبَحَ مسروراً بـ«طيبة» راضيا

وألقى صديقاً واطمأنت به النَّوى

وكان له عوْناً من اللَّه باريا

يقُصُّ لنا ما قال «نوحٌ» لِقومِهِ

وما قال «موسى» إذ أجاب المناديا

فأصْبح لا يخشى من الناس واحداً

قريباً ولا يخشى من الناس نائيا

بذلنا له المال من جلِّ مالنا

وأنفسنا عند الوغى والتآسيا

نُعادي الذي عادى من الناس كلهم

جميعاً ولو كان الحبيب المواسيا

ونَعْلمُ أن اللَّه لا شيءَ غيره

وأَنَّ كتاب اللَّه أصْبَحَ هاديا

أقـول إذا صَـلـيْـت مـن كُـل بـيْـعـة
حنانيك لا تُظْهر علينا الأعـاديا
أقـول إذا جـاوَزْتُ أرضـاً مـخـيـفـة
تـبـاركْـتَ اسْـمَ الـلَّـه أنـت الـمـواليا
فَطَأْ مُغرضاً إن الـحـتـوف كثيـرة
وأنـك لا تُـبْـقِـي لـنـفـسـك بـاقـيـا
فواللَّه ما يدري الفتى كيْف سَعيُهُ
إذا هـو لـم يـجـعـل لـه الـلَّـه واقـيـا
ولا تـحـفـل الـنّـخـل الـمـعـيـمـة ربَّـهـا
إذا أصْـبَـحـت ريّـا وأصـبـح ثـاويـا

* * *

وردَّدَت الـجـمـاهـيـر رجـالاً ونـسـاءً، شـيـوخـاً وأطفالاً هذه الأهزوجة:

طَـلَـع الـبـدْرُ عـلـيْـنـا
مـن ثـنـيَّـاتِ الـوداع

وجب الشكر علينا
ما دعا لله داعِ
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاعِ
جِئت شرَّفت المدينة
مرحباً يا خير داعِ

وصارت المدينة كنفاً وملجأً لأولياء اللَّه وعباده الصالحين، ومعقلاً وحِصناً منيعاً للمسلمين ودار هُدىً للعالمين.

المؤاخاة:

لقد رسَّخ النبيُّ ﷺ علاقة المهاجرين بالأنصار من خلال الأُخوَّة التي عقدها بينَهُم...، فَبَدَت المدينة وكأنها وحدة اجتماعية إنسانية، راسخة البنيان، عالية الأرْكان..!

وذُكِرَت أكثر الأسماء التي جرت الأُخُوَّة بَيْنها. . .، ولم أَجِدْ لاسم «عبد اللَّه بن رواحة» ـ رضي اللَّه عنه ـ ذِكْرٌ فيها. . .، ولكن لا بُدَّ وأن يكون قد اختير له أَخٌ من المهاجرين، اختاره رسول اللَّه ﷺ، ولكن أغفله المؤرخون، وكُتّاب السّيرة. . .، رغم أنَّه أحد النُّقَباء!!!

أعني شخصاً بارزاً مرموقاً!!! اللَّه أعلم.

* * *

وانطلقت الغزواتُ والسَّرايا:

انطلقت لِتُثْبِت مكانتها ووُجودها، ولِتَسْتَعِيدَ بَعْض ما سُلِبَ مِنْها. . .

وكان «عبد اللَّه بن رواحة» ـ رضي اللَّه عنه ـ قد حَضَر كُل الغزوات، مع رسول اللَّه ﷺ ما تخلَّفَ عن واحِدَة منها، وكان له في كلّ منها أَثَرٌ بالغ ووجودٌ قويّ،

شجاعاً، مقداماً، مُقاتلاً... بارزاً!!

ومن ثَمَّ كان بَدْرياً...

وسيدنا رسول اللَّه ﷺ هو القائل: «لعلَّ اللَّه اطلَعَ على أهل بَدْرٍ فقال: اعملوا ما شئتُم فقَدْ غَفَرْتُ لكم»[١].

وكما أنَّه كان أَحَد البدريّين ـ رضي اللَّه عنه ـ كان أيضاً من «الحديبيّين» الذين بايَعُوا رسول اللَّه ﷺ بيعة الشجرة ـ أو «بيعة الرضوان» ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

ابن رواحة وآل البيْت:

أنشأ «عبد اللَّه بن رواحة» ـ رضي اللَّه عنه ـ أَبْياتاً يذكر فيها ما كان لحادِثَةِ تعرض

(١) وفي رواية [وجَبَتْ لكم الجنَّة].

القرشيّين لـ«زينب» بنت رسول اللَّه ﷺ حين أرادت الهجرة إلى «المدينة» واللحوق بالمسلمين... وكيْف أسْقطت... حين تعرض لها «هبّار بن الأسْود» فأجفلها...، ووقعت، وسقط جنينها ميْتاً...!

* * *

قال «عبد اللَّه»:

أتاني الذي لا يقدر الناس قدْره
لِـ «زينب» فيهم من عُقوقٍ ومأْثَمِ
وإخراجها لم يَخْزَ فيها «محمد»
عن مأقطٍ وبيننا عِطْر مَنْشَم(١)
وأمسى «أبو سفيان» من حِلْف ضمْضم
ومن حَرْبِنا في رغم أنف ومنْدم

(١) عطر منشم: مثل، يكنى به عن شِدّة الحرب، قيل في أصله أن «منشم» كانت امرأة من خزاعة تبيع العِطْر والطيب فيشترى منها للموتَى، حتى تشاءموا بها لذلك.

قَرنّا ابنه «عَمْراً» ومؤلى يمينه
بذي حلَقٍ جَلْد الصلاصل مُحْكم

فأَقْسَمْتُ لا تنفك مِنّا كتائب
سراة خميسٍ[١] من لهامٍ مسوَّم

نزوع «قريش» الكُفْر حتى نَعُلَّها
بخاطمةٍ فوق الأنوف بميْسَمِ

نُنَزِّلهم أكناف «نجْدٍ» و«نخلةٍ»
ولن يُتهِمُوا[٢] بالخيْل والرجل تُتْهم

يرى الدهر حتى لا يعوّج سرْبُنا
ونلحقهم آثار «عاد» و«جُرْهم»

ويندم قوم لم يطيعُوا محمداً
على أمرهم وأيّ حين تندَّم

فأبلِغْ أبا سفْيان! إما لقيتَهُ
لئن أنْت لم تخلص سجوداً وتُسْلم

---

(١) الخميس: الجيش.

(٢) يتهِمُوا: يقصدون تهامة.

فأبْشر بِخزْيٍ في الحياة معجَّلٍ
وسربال نارٍ خالداً في جَهَنَّم

* * *

وحَضَر «ابن رواحة» ـ رضي اللَّه عنه ـ يَوْم أُحُد:

وكان في السنة الثالثة من الهجرة. . . !

كان اليوْمُ في أوَّلِهِ للمسلمين على المشركين. . . !

كان المسلمون سبعمائةٍ، والمشركون ـ من قريش وحلفائها ـ ثلاثة آلاف. . . !

دارت الدائرة على قُرَيْشٍ «وانهزمت»، وفَرَّ معظم رجالها وتركوا وراءهم كثيراً من المغانم. . .، ممّا أَغْرى الرُّماة من المسلمين بترك مواقعهم التي عيّنها لهم رسول اللَّه ﷺ. . .، ونزلُوا إلى حيْث المغانم

والأسلاب، وتبدَّل الموقف...!

وأغار عليهم «خالد بن الوليد» ـ وكان لا يزال على شِرْكه ـ بالخيْل والفرسان...!

ومن ثمَّ كانت مَلْحَمة...!

استُشهد من المسلمين سَبْعون من الأبطال...

على رأسهم «حمزة بن عبد المطلب».

و«مُصْعَبُ بن عُمَيْر» حامل اللواء....

وفرَّ أكثر المسلمين من الميدان، ولم يَبْق مع رسول اللَّه ﷺ إلا قلّة قليلة... صعدوا في جَبَل أُحُد، حتى يكونوا بعيدين عن مرمى سهام المشركين ونَبْلِهِم...!

شُجَّ وجْهُ النبيِّ ﷺ وكُسِرَتْ رُباعيتُهُ وسال دَمُهُ الشريف.

* * *

«عَبْد اللَّه» في «خَيْبَر»:

وكان «عبد اللَّه بن رواحة» ـ رضي اللَّه عنه ـ مَوْضِعَ ثقة رسول اللَّه ﷺ...

ولقد شهِدَ «عبد اللَّه» فَتْحَ «خَيْبَر»...، وحيازة أموالها ونخيلها وزروعها إلى المسلمين...!

يقول «محمد بن إسحاق»: سألْتُ «ابن شهاب»: كيْف أعطى رسول اللَّه ﷺ يهود «خَيْبَر» نخْلَهُم؟

فأخبرني أن رسول اللَّه ﷺ افتتح «خيبر» عنْوةً بعد القتال، وكانت «خيبر» مما أفاء اللَّه على رسول اللَّه ﷺ... خمّسها وقسمها بيْن المسلمين، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال...، فدعاهم رسول اللَّه ﷺ فقال: «إن شئتم دفعتُ إليكم هذه الأموال على أن تَعْملوها وتكون ثمارها

بيننا وبيْنكم، فأُقِرُّكم ما أقرَّكم اللَّه»..، فَقَبِلُوا وكانوا على ذلك يعملونها...!

وكان رسول اللَّه ﷺ يَبْعَثُ «عبد اللَّه بن رواحة» فيقسم ثَمَرها ويعْدل عليهم في الخرْص.

وعَلَيْه... فقد كان ـ رضي اللَّه عنه ـ عالماً بأَحْوالها كُلّها، أرضها وزرعها... ومَنْ بقي من اليهود فيها من أَهْلها...!

إلا أَنَّ أَحَدَ الرؤوس من اليهود الذين أقامُوا في «خَيْبَر»، واسْمُهُ «يُسير [١] بن رزام» أراد الغدْر ونَكْث العَهد، وأنَّه يتصل بقبيلة «غطفان» يُحرّضهم على القتال ـ قتال رسول اللَّه ﷺ والمسلمين...، وبلغ ذلك رسُول اللَّه ﷺ...، فأراد رسول اللَّه ﷺ إفشال هذا التَّواصُل بين «يُسير»

(١) ويقال: «أُسَيْر» بدل «يسير».

و«غطفان» . . . ، فانتدب لذلك «عبد اللَّه بن رواحة» في ثلاثين راكباً . . . !

فأتوا «يسيراً» وقالُوا له: لقد أرسلنا إليْك رسول اللَّه ﷺ لِيَسْتَعْمِلك على «خيبر» . . . ، أي: أن تكون صاحب الأمر والنهْي فيها . . .

وحاوَرَه «عبد اللَّه» حتى أقنعَه، ثم خَرَج معهم نحو المدينة . . .، في ثلاثين مِن أَتْبَاعِهِ . . . ، كُل واحدٍ منهم رديف لواحدٍ من المسلمين . . . !

فلما بَلَغُوا مكاناً يُدْعى: «قَرقَرة ثبار»[(١)] ، وهي من «خيبر» على سِتّة أَميال ندِم «يسير بن رزام» وظَنَّ أَنَّه غُدِر به . . . ، فأهوى بيده إلى سيْف «عبد اللَّه بن رواحة» يريد انتزاعه . . . ، ففطن له «عبد اللَّه» فزجر بعيره ثم اقتحم يسوق بالقوم حتى استمكن من «يسير» ،

(١) في معجم البلدان: «شبار» وكذلك لدى البيهقي.

وضرب رِجلَهُ فقطعها . . . ، واقتحم «يسير» وفي يده مخراش ـ عصا معْوجَّة الرأس ـ من شَوْحَطٍ[1] فضرب به وَجْه «عبد اللَّه» فشجَّه شَجَّةً مأمُومة[2] . . . ، ثم انكَفَأ كل رَجُلٍ من المسلمين على رديفه فقتله . . . غير رجُلٍ واحد من اليهود أعجَزَهم شدّاً . . . ، ولم يُصَبْ من المسلمين أَحَدٌ . . . ، وبَلَّ رسولُ اللَّه ﷺ بريقهِ الشريف شَجَّة «عبد اللَّه» فلم تَقحْ ولم تُؤْذِهِ أبداً .

---

١) الشوحط : شجر تُتخذ منه القسِيّ .

٢) بالغة جارحة .

صُلْحُ الحديبية

صُلْحُ الحديبية

عُمْرَةُ القضاء:

كان من شروط «صُلْح الحديبية» الذي تَمَّ بيْن رسول اللَّه ﷺ وبيْن «قريش» أن يأتي في عامٍ قابلٍ...، ولا يدخل مَكة، إلا في جلبانِ[١] السلاح، وأن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام...!

وهذه العمرة هي المذكورة في قوله تعالى في سورة «الفتح» المباركة:

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا

(١) جلبان: شبه الجراب من الجلد يوضع فيه السيف، وقيل: القَوْس.

تَخَافُونَ . . . ﴾ [الفتح: ٢٧] الآية.

وهي الموعود بها في قوله «عليه الصلاة والسلام» ـ لِـ«عمر بن الخطاب» ـ رضي اللَّه عنه ـ حين قال له: ألم تكُن تحدِّثنا أنا سنأتي البَيْت ونطوف به؟ قال: «بلى . . . أفأخبَرْتُك أنَّك تأْتيه عامك هذا؟» قال: لا . . .، قال: «فإنَّك آتيه ومُطوِّف به».

وهي المشار إليها في قوْل «عبد اللَّه بن رواحة» ـ رضي اللَّه عنه ـ حين دَخَل بيْن يَدَيْ رسول اللَّه ﷺ إلى «مكة» يوم «عُمْرة القضاء» وهو يرتجز:

خَلُّوا بني الكُفّار عن سبيله

اليوم نَضربكُم على تأويلهِ

كما ضربناكم على تنزيله

* * *

أي: هذا تأويل الرؤيا التي كان رآها رسول اللَّه ﷺ... جاءت مِثْل فَلَق الصُّبح.

وانطلق لسان «عبد اللَّه» ـ رضي اللَّه عنه ـ لا يكفّ عن الرجز والشِّعْر، وهو آخذ بِغرْزِ ناقة رسول اللَّه ﷺ رافعاً صَوْتَه...، وكأنَّه هدير من السَّماء، يقول:

خَلُّوا بني الكُفّار عن سبيله
قد نَزّلَ الرَّحمٰن في تنْزيله
بأنَّ خير القتْل في سبيله
نحن قاتلناكم على تأويله

* * *

وفي روايةٍ:

خَلُّوا بني الكُفّار عن سبيله
اليَوْم نضرِبُكم على تنْزيله

ضَرباً يزيل الهام عن مقيلِهِ
ويُذْهل الخليل عن خليله
يا ربّ إني مؤمن بقيله

* * *

وكانت جموع الصحابةِ في الطواف والسَّعْي تردد مع «عبد اللّه» أراجيزه ويشتدُّون في السَّعْي والرَّمْل . . .، ورفْع الصَّوْت، وهو يقول :

بِاسْمِ الذي لا دين إلا دينَهُ
بِاسْمِ الذي محمدٌ رسُولُهُ
خَلُّوا بني الكُفّار عن سبيله

* * *

ويقول وهو متوشّح سَيْفَهُ :

خَلّوا بني الكُفّار عن سبيلِهِ
أنا الشهيد أنه رسُوله

قد أنزل الرحمٰن في تنزيله
في صُحُفٍ تُتْلى على رسولِهِ
فاليوم نَضْربكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله
ضرْباً يزيل الهام عن مقيله
ويُذهل الخليل عن خليله...

* * *

روايةٌ أُخْرى:

قال «زَيْني دحْلان» في السِّيرة[1]:

(سريَّةُ عبد اللَّه بن رواحة الأنصاري الخزرجي ـ رضي اللَّه عنه) إلى «أُسَيْر» ـ بضَمِّ الهمزة وفتح السين وسكون التحتية وبالراء: ابن رِزام ـ براءٍ مكسورة فزايٍ مخففة فألف فميم... اليهودي «بخيبر»،

(١) هامش (السيرة الحلبية) (ج: ٢) (ص ١٨٦).

وكانت في شوال سنة ستٍّ، وسببها أنه لما قُتل «أبو رافع: سلام بن أبي الحقيق» أمرت يهودُ عليها «أسيْراً»، فقال: واللَّه ما سار «محمد» إلى أحدٍ من يهود ولا بعث أحداً من أصحابه إلا أصاب منهم ما أراد، ولكني أصْنَعُ ما لم يصنع أصحابي، فقالوا: وما عَسيت أن تضْنع؟ قال «أسير»: أسيرُ في غطفان فأجمعهم، ونسير إلى محمد في عُقر داره (بفتْحِ العيْن وضمّها وسكون القاف) أي: أصلها فإنه لم يُغز أحد في عقْر داره إلا أدرك من عدوّه بعض ما يريد...!

قالُوا: نِعْم ما رأيْت...!

فسار في «غطفان» وغيرهم يجمعهم لحربِهِ ﷺ، وبلَغَهُ ﷺ ذلك فوجَّه «عبد اللَّه بن رواحة» ـ رضي اللَّه عنه ـ في ثلاثة نفَرٍ في شهر رمضان سِرّاً ليستكشف له الخبر، فسأل

عن خَبَرِه وغِرَّتِهِ ـ أي غفلته ـ فأُخبر بذلك ـ، وذلك أنه أتى ناحية «خيبر» فَدَخَل في الحوائط[١]، وفرَّق الثلاثة في ثلاثةٍ من حصونها، فَوعَوا ما سَمِعُوا من «أُسيْر» وغيره. . . ، ثم خَرَج بعد ثلاثة أيام فقدِم على رسول اللَّه ﷺ لليالٍ بقين من رمضان، فأخبره بكل ما رآه وسمعه. . . !

وقدم عليه أيضاً «خارجة بن حُسَيْل» (بمهملتيْن مُصغَّراً) فاستخبره ﷺ ما وراءَه، فقال: تركتُ «أُسَيْر بن رزام» يسير إليك في كتائب اليهود. . . !

فندبَ النبيّ ﷺ الناس له، فانتدب له ثلاثون رجُلاً. . . ، فبَعَثَ عليهم «عبد اللَّه بن رواحة». . . ! فقدموا عليه فقالوا: نَحْنُ آمنون حتى نفرض عليك ما جئنا له؟؟ قال:

(١)الحوائط: البساتين المسوَّرة.

نعم... ولي منكم مثل ذلك! فقالوا: نعم...!

إن رسول اللَّه ﷺ بعثنا إليك لتخرج إليه يستعملك على «خيبر» ويُحْسن إليك...!

فطمع في ذلك، فشاور يهود، فخالفوهُ في الخروج، وقالوا: ما كان محمد يستعمل رجلاً من بني إسرائيل!! قال: بلى... قد مَلَلْنا الحرْب...!

وفي روايةٍ لابن إسحاق: فلما قدموا عليه كلموه وقربُوا له وقالُوا له: إنك إن قدِمْتَ على رسول اللَّه ﷺ استعملك وأكرمك...!

فلم يزالُوا به حتى خَرَج معهم، وخَرَج معه ثلاثون رجلاً من اليهود، مع كل رجُلٍ رديف من المسلمين.

وفي روايةٍ فحمله ـ أي أسيراً ـ عبد اللَّه بن رواحة»...! حتى إذا كانوا

بـ«قَرْقرَةٍ» موضع على ستةِ أميالٍ من «خيبر» . . . ندِم أُسَيْر على سيره إلى رسول اللَّه ﷺ وأراد الفتْك بـ«عبد اللَّه بن رواحة»، ففطِن له وهو يريد السَّيْف . . .، فاقتحم به «عبد اللَّه» ثم ضربه بالسّيْف فقطع رِجْلَهُ . . .، فضربه «أُسَيْر» بِمخْرَشٍ في يده من شوحطٍ فأمَّهُ(١) . . . !

وفي روايةٍ عن «عبد اللَّه بن رواحة» ـ رضي اللَّه عنه ـ:

وأهوى أُسَيْر بيده إلى سيفي ففطنتُ له فدفعْتُ بعيري وقُلْتُ: غدْراً أَيْ عدو اللَّه ـ مَرَّتَيْن ـ، فنزلت فسقْتُ بالقوم حتى انفرد لي «أُسَيْر» فضربْتُهُ بالسَّيْف، فأندَرْتُ(٢) عامّة فخذه وساقِهِ، فسقط عن بعيره . . . !

---

(١) فأمّهُ: جرحه في رأسِهِ.

(٢) أندرت: قطعت وفصَلْتُ.

ومال أصحاب النبي ﷺ على أصحابِهِ فقتلوهم لظهور إرادة الغدْر لهم منهم، غير رجُلٍ واحدٍ أعجزنا شَدّاً ـ أي: جَرْياً ـ، أفلَتَ على رِجْلَيْه، ولم يُصَبْ من المسلمين أحد وَللَّهِ الحمد، فما قتلُوا اليهود بعد التأمين إلا لكونهم غدروا.

ثم قدموا على رسول اللَّه ﷺ . . .

وكان ﷺ يحدِّث أصحابه فقال: «تَمشّوا بنا إلى الثَّنيَّةِ لنبحَثَ عن أصحابنا» فخرجوا معه، فلما أشرفوا عليها إذا هم بسرعان أصحابنا، فجلس ﷺ في أصحابه فانتهيْنا فحدّثناهُ الحديث . . . فقال: «نجاكُم اللَّه من القوم الظالمين . . .».

وتَفَل ﷺ على شَجّة «عبد اللَّه بن رواحة» ـ رضيّ اللَّه عنه ـ فلم تَقحْ ولم تؤذِهِ حتى مات . . .

وفي روايةٍ قال «عبد اللَّه بن رواحة» ـ رضي اللَّه عنه ـ:

ـ ومسح ﷺ ـ وجْهي ودعا لي. وقطع لي قطعةً من عصاه فقال: «أمسك هذه معك علامة بيْني وبينك يوم القيامة، أعرفك بها، فإنك تأتي يوم القيامة متخصِّراً[١]...».

فلما دُفِن «عبد اللَّه» جُعِلَتْ معه على جِلْدِه دون ثيابه.

هذه رواية فيها بعض التطويل، ولكنه تفصيل غيْر مِمِلٍّ، بل يزيد الواقعة وضوحاً وبياناً.

إلى مُؤْتة[٢]:

(وهي سرية زيد بن حارثة في نحوٍ من ثلاثة آلاف من جُنْدِ اللَّه إلى أرض البلْقاء

(١) العصا تَبلُغُ خَصر الإنسان، وتسمى: مخصَرَة، وكثيراً ما كان رسول اللَّه ﷺ يستعمل المخصرة.

(٢) غزوة «مؤتة»: وتسمى: غزوة جيش الأمراء.

(الأردن) من أرض الشام. قال «محمد بن إسحاق» بعد قصة عُمْرة القَضيّة:

فأقام رسول اللّه ﷺ بالمدينة بقيّة ذي الحجّة ـ وولى تلك الحجة المشركون ـ والمحرَّم وصفراً وشهْريْ ربيع، وبعث في جُمادى الأولى [سنة ثمانٍ] بعثهُ إلى الشام، الذين أُصيبُوا بـ«مؤتة».

فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن غزْوَة ابن الزُبَير قال: بعث رسول اللّه ﷺ بعثه إلى «مؤتة» في جمادى الأولى من سنة ثمانٍ، واستعملَ عليهم «زيد بن حارثة» وقال: «إن أصيب «زيْد» فـ «جعفر بن أبي طالب» على الناس، فإن أصيب «جعفر» فـ «عبد اللّه بن رواحة» على الناس».

فتجهَّز الناس، ثم تهيّؤوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف.

وفي روايةٍ: «فإن قُتل «عبد اللَّه بن رواحة» فليرْتض المسلمون بينهم رجُلاً فليجعلُوهُ عليهم».

فلما حَضر خروجهم ودَّع الناس أمراءَ رسول اللَّه ﷺ، وسلمُوا عَلَيْهم، فلما ودّع «عبد اللَّه بن رواحة» مع من ودّع بكى..! فقالُوا: ما يُبكيك يا ابن رواحة؟

فقال: أما واللَّه ما بي حبُّ الدُّنيا ولا صبابة بكم، ولكني سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقرأ آية من كتاب اللَّه يذكر فيها النار: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] فلستُ أدري كيْف لي بالصّدْر بعد الورود؟ فقال المسلمون: صحبكم اللَّه ودَفَع عنكم ورَدكم إلينا...!

وأخذت شاعرية «عبد اللَّه» تتفاعل داخل نَفْسِه، ويجيش بها صَدْره، ثم ينطلق بها لسانُه؛ فقال:

لكنني أسألُ الرحمٰن مغفرةً
وضَرْبة ذات فرغٍ[١] تقذفُ الزَّبَدا[٢]
أو طعنةً بيديْ حران مجهزةً
بِحَرْبَةٍ تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يُقال إذا مَرُّوا على جَدَثي
يا أرشد اللَّه من غازٍ وقد رَشَدا

* * *

قال «ابن إسحاق»:

ثم إن القوم تهيّؤوا للخروج، فأتى «عبد اللَّه بن رواحة» رسول اللَّه ﷺ فودَّعُه ثم قال:

يثبّت اللَّه ما آتاك من حَسَنٍ
تثبيت «موسى» ونصراً كالذي نصروا

---

(١) ذات فرغ: واسعة.
(٢) الزبد: رغوة الدم.

إني تَفَرَّسْتُ فيك الخيْر نافلةً

اللَّه يعلم أني ثابتُ البَصَرِ [١]

أَنْتَ الرسول فَمَنْ يُحْرم نوافله

والوجْه منه فقد أزرى به القدَرُ

فقال له رسول اللَّه ﷺ: «وأنْتَ ثبَّتك اللَّه يا «ابن رواحة»».

* * *

قال «ابن إسحاق»:

ثم خَرَج القوم وخرَج رسول اللَّه ﷺ يشيِّعُهُم حتى إذا وَدَّعهم وانصرف، قال «عبد اللَّه بن رواحة»:

خَلَف السلام على امرئٍ ودَّعْتُهُ

في النَّخْل خَيْرُ مُشَيّعٍ وخليل

وكان الخروج يَوْم جُمعةٍ. . .

(١) في البيت إقواء: وهو اختلاف حركة حَرْف الرويّ عما قبله.

وتخلَّف «ابن رواحة» فجمَّع مع النبي ﷺ، فرآه فقال له: «ما خَلَّفَكَ؟» فقال: أُجَمِّعُ مَعَكَ. ثم لحقهم...!

فقال له رسول اللَّه ﷺ: «لغدوة أو رَوْحة خيْر من الدُّنيا وما فيها...، لو أنفقْت ما في الأرض جميعاً ما أدركْت غدوتَهُم».

قال «ابن إسحاق»:

ثم مضوا حتى نزلوا «معاناً» من أرض الشام، فبلغ الناس أن هِرَقْل قد نزل في «فؤاب» من أرض «البلقاء» في مائة ألْفٍ من الروم، وانضم إليه من «لَخْم» و«جذام» و«العَيْن» و«بهراء» و«بلْيِ» مائة ألْفٍ منهم عليهم رجلٌ من «بلْيِ»، ثم أَحَدُ «أرشة» يقال له: «مالِكُ بن رافلة»، وفي روايةِ «يونس» عن «ابن إسحاق»: فبلغهم أن «هرقْل» نزل بـ«فؤاب» في مائة ألف من الروم ومائة ألفٍ

من المستغْربة؛ فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على «معانٍ» ليلتيْن ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتبُ إلى رسول اللَّه ﷺ نخبره بعدد عدوِّنا، فإما أن يمدَّنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمر، فنمضي له...!

وانتفض الأميرُ النّقيبُ... الفدائي الصاحب «عبد اللَّه بن رواحة» انتفاضة الأسد...، فقال للناس: ــ يا قوم... واللَّه إن التي تكرهون لَلَّتي خرجتُم تطلبُون الشهادة...، وما نُقاتل الناس بعددٍ ولا قُوة ولا كثْرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أمرنا اللَّه به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنييْن: إما ظهورٌ وإما شهادة...، فقال الناس: قد واللَّه صدق «ابن رواحة»...!

وتفجرت الشاعرية مرَّة أُخْرىٰ؛ وقال «عبد اللَّه»:

جَلَبْنا الخيل من أجأٍ وفرع[1]

تَغُرُّ[2] من الحشيش لها العكوم[3]

حذوناها من الصّوانِ سبتاً[4]

أزل كأن صفحته أديم

أقامت ليلتين على «معانٍ»

فأعقب بعد فَترتها: جُمُومُ[5]

فَرُحنا والجياد مُسوّمات

تنفّس من مناخرها سَمُوم

فلا وأبي «مؤابِ» لنأتينها

وإن كانت بها عَرَبٌ ورومُ

---

(١) أجأ: أحد جَبَلَيْ طيّئ. فرع: اسم موضع.

(٢) تسمنُ.

(٣) العكوم: الناقة إذا حملت عاماً ذكراً وعاماً أنثى.

(٤) السَّبْت: النّعال تُصنع من الجلود المدْبوغة (أي: جعلنا قوائمها كالصّوّانِ قوّةً وصلابةً).

(٥) الفَترَةُ: الضعْف. والجموم: استجماع القوّة.

فعبَّأنا أعنَّتَها فجاءَت
عوابس والغُبار لها يريمُ(١)

بذي لَجَبٍ كأن البيض فيه
إذا برزت قَوانِسُها النجوم

فراضيةُ المعيشة طلَّقتْها
أسِنّتُنا فَتنكحُ أو تئيم(٢)

* * *

ويُحدِّثنا رديف لِـ«عبد اللَّه بن رواحة» عن يَوْمِهِ هذا. . ، وهو «زيْدُ بن أرْقم» فيقول:

كُنْتُ يتيماً لِـ«عبد اللَّه بن رواحة» في حِجْره، فخرج بي في سَفَرِهِ ذلك مُرْدفي على حقيبة رحْلِهِ، فواللَّه إنه ليسير ليلتئذٍ سَمِعْتُهُ وهو ينشد أبياته هذه:

(١) يريم: اختلاط الأصوات.
(٢) تئيم: تبقى دون زوج.

إذا أدنَيتني وحملْت رحلي
مسيرة أرْبعِ بعد الحساء

فشأنك أنْعُمٌ وخلاكِ ذَمٌّ
ولا أرجعْ إلى أهلي ورائي

وجاء المسلمون وغادروني
بأرض الشام مُشتهي الثواء

وردّك كل ذي نسبٍ قريبِ
إلى الرحمٰن منقطع الإخاء

هنالك لا أُبالي طلْع بَعْلِ
ولا نَخْلِ أسافلها رواءِ

* * *

فلما سمعتهنّ مِنه بكيْتُ، فخفقني بالدِّرّة وقال: ما عليك يا لُكَعُ أن يرزقني اللَّه الشهادة، وترجع بين شُعبتي الرَّحْل؟

ثم ارْتَجز:

يا زيد زيد اليعملات[١] الذُّبَّل[٢]
تطاول اللَّيل هُديت فانْزِلِ

❋ ❋ ❋

المعركة والاستشهاد:

قال «ابن إسحاق»:

ثم مضى الناسُ حتى إذا كانوا بتُخُوم «البلقاء» لقيتهم جموع «هِرقْل» من الروم والعرب بقريةٍ من قرى «البلْقاء» يُقال لها «مشارف»، ثم دنا العدوُّ وانحاز المسلمون إلى قريةٍ يُقال لها «مُؤْتة»، فالتقى الناس عندها، فتعبّى لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجُلاً من «بني عُذَرة» يُقال له «قُطبة بن قتادة» وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له «عبايةُ بن مالك».

(١) اليعملات: النوق السريعة.
(٢) الذُّبَّل: التي أضعفها وأرهقها طول المسير.

وقال «الواقدي»:

حدثني «ربيعة بن عثمان» عن «المقْبريّ» عن «أبي هُرَيْرة» قال:

شَهِدْت «مُؤتة»، فلما دنا منا المشركون رأينا ما لا قِبَلَ لأحدٍ به من العُدَّة والسلاح، والكراع...، والديباج والحرير والذهب، فبرق بَصَري...، فقال لي «ثابت بن أرقم»[1]: يا «أبا هريرة» كأنك ترى جموعاً كثيرة؟؟ قُلْتُ: نعم!! قال: إنك لم تشهد «بَدْراً» معنا، إننا لم نُنْصر بالكثرة[2].

قال «ابن إسحاق»: ثمَّ الْتَقى الناس فاقتتلوا، فقاتل «زيد بن حارثة» براية رسول اللَّه ﷺ حتى شاط[3] في رماح

(١) عند البيهقي وابن إسحاق: «ابن أقْرم».
(٢) رواه البيهقي في الدلائل ٤/ ٣٦٢ والواقدي: ٢/ ٧٦٠.
(٣) شاط الرجل: إذا سال دمُهُ فهلك.

القوم..، ثم أخذها «جعفر بن أبي طالب» فقاتل القوْم حتى قُتِل....!

فكان «جَعْفَرُ» أول المسلمين عقر في الإسلام....!

وقال «ابن إسحاق»:

وحدثني «يحيى بن عبّاد بن عبد اللَّه بن الزبير» عن أبيه «عَبّاد»، حدثني أبي الذي أرضعني ـ وكان أحدُ بني «مُرَّة بن عوْف»، وكان في تلك الغزوة ـ غزوة مؤتة ـ قال:

واللَّه لكأنّي أنظر إلى «جَعْفَر» حين اقتحم عن فرسٍ له شقراء....، ثم عقرها[١]، ثم قاتل القوْم حتى قُتل وهو يقول:

يا حبَّذا الجنَّة واقترابها

طيِّبةٌ وباردٌ شرابها

(١) عقرها: قطع عركوبها.

والــروم روم قــد دنــا عــذابــهــا
كــافــرةٌ بــعــيــدة أنــســابــهــا
عليَّ إن لاقيتُها ضرابها

قال «ابن هشام»:

وحدّثني من أثِقُ به من أهل العِلم أن «جعفر» أخذ اللواء بيمينه فقطِعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنَهُ بعضُدَيْه حتى قُتل وهو ابن ثلاثٍ وثلاثين سنة[١]، فأثابه اللَّه بذلك جناحيْن في الجنة يطير بهما حيث يشاء[٢]. . . !

ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذٍ ضربةً فقطعه بنِصْفين. . . !

فلما قُتِل جعفر أخذ «عبد اللَّه بن رواحة»

---

(١)هذا يعني أنه كان في حدود الرابعة عشرة من عمره حين هاجر إلى الحبشة.

(٢)رُوي ذلك في حديث لرسول اللَّه ﷺ. ولذا يُقال عنه «جعفر الطيّار».

الراية ثُمَّ تقدَّم بها وهو على فرَسِهِ . . . ، فجعل يَسْتنْزِلُ نفسه ، ويتردَّد بعض التردُّدِ ، ويقول :

أقْسَمْتُ يا نفس لَتَنْزِلنَّه
لَتَنْزلنَّ أو لتكرهنَّه
إن أجْلب الناس وشدُّوا الرَّنة
ما لي أراكِ تكرهين الجنّة؟؟
قد طال ما قد كُنتِ مطمئنَّة
هل أنتِ إلا نطفة في شنَّة

أقدم وأَحجم . . . ، وخاض . . . ورَجَعَ . . . ، والأشلاء والدِّماء تُغَطِّي الأرْض . . . !

لقد رأى بأمِّ عينيْه مَصْرَع صاحبيه واستشهادهما . . . ، لم تسقط الراية من أيديهما . . . ، وهو الَّذي كانَ لا يهابُ الموْتَ ولا يخافُه . . . ، وكم من معركةٍ خاضها إلى

جانب رسول اللَّه ﷺ . . . !

ثم خاطب نفسه للمرَّة الثانية :

يا نَفْسُ إن لا تُقْتلي تموتي
هذا حمام الموْتِ قد صليتِ
وما تَمنَّيتِ فقد أُعْطيتِ
إن تَفْعلي فِعْلَهُما[١] هُديت

وبعد جَوْلاتٍ وجَوْلاتٍ . . . نزل ليستريح قليلاً . . . !

فلما نزل أتاهُ ابن عمٍّ له بِعِرْقٍ من لَحْمٍ وقال له : شُدَّ بهذا صُلْبك . . . ، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت . . . !

فأخذه من يده فانتهس مِنه نهسةً[٢] . . . ثم شجع الحطمة[٣] في ناحية الناس؛ فقال :

(١)يريد صاحبيْه : زيْداً وجَعْفراً .
(٢)قطعةً تعادل اللُّقمة .
(٣)الحطمة : زحام الناس، أراد هنا التحام الناس في النزال والقتال .

وأنت في الدُّنيا..؟!

ثم ألقاهُ من يده...، ثم أخذ سَيْفَهُ، ثم تقدَّم فقاتل حتى قُتِل ـ رضي اللَّه عنه ـ.

ثم أخذ الراية «ثابت بن أقرم» أخو «بني العَجْلان» فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجلٍ منكم، قالوا: أنْت. قال: ما أنا بفاعل...، فاصطلح الناس على «خالد بن الوليد»، فلما أخذ الراية دافع القوْم وخاشى[1] بهم، ثم انحاز وانحيز عنه... حتى انصرف الناس.

ورثاهم «حسَّان بن ثابت» ـ رضي اللَّه عنه ـ فقال:

عيْن جودي بدمعِك المنزورِ

واذكري في الرّخاء أهل القبور

(١) خاشى بهم: انحاز بهم إلى ناحية.

واذكري «مؤتة» وما كان فيها

يوم راحوا في وقعةِ التغويرِ

حين راحوا وغادروا ثَمَّ «زيداً»

نِعْمَ مأوى الضّريك والمأسور[1]

حِبّ خير الأنام طُرّاً جميعاً

سيّد الناس حُبُّهُ في الصُّدور

ذاكم أحْمَدُ الذي لا سواهُ

ذاك قُرْبي له معاً وسروري

إنّ زيْداً قد كان منا بأَمْرٍ

ليس أمر المكذّب المغرور

ثم جودي للخزرجي[2] بدمْعٍ

سيّداً كان ثم غير نزور

قد أتانا من قتلهم ما كفانا

فبحُزن نبيتُ غير سرور

---

(١) الضريك : الفقير .

(٢) يعني «عبد اللّه بن رواحة» ـ رضي اللّه عنه ـ .

ونقل الإمام «البخاري» من شِعْر «عبد اللَّه» ـ رضي اللَّه عنه ـ في رسول اللَّه ﷺ:

وفينا رسول اللَّه نَتْلُو كتابه
إذا انشَقَّ معروف من الفجْر ساطعُ
يبيتُ مُجافي جنبه عن فراشه
إذا اشْتَعلتْ بالمشركين المضاجِعُ
أتى بالهُدى بعد العمى فقلُوبنا
به موقنات أن ما قال واقعُ

شاعِرٌ يرثي شاعراً:

ورثاهم «كعبُ بن مالك» ـ رضي اللَّه عنه ـ فقال:

نام العيون وَدَمْعُ عينك يهمل
سَحّاً كما وكف الطباب المخضل[١]

(١) الطباب: جمع طبابة وهي سير بين خرزتين في المزادة، فإذا كان غير مُحْكم وكف منه الماء.

في ليلةٍ وَرَدَتْ عَلَيَّ همومها
طوْراً أحِنُّ وتارة أتمهَّلُ[١]

واعتادني مُزْنٌ فبتُّ كأنني
ببنات نَعْشٍ[٢] والسّماك مُوكل

وكأنما بيْن الجوانح والحشا
مِما تأوّبني شهابٌ مدْخلُ

وَجْداً على النَّفَر الذين تتابَعُوا
يوماً بـ«مؤتة» أسندوا لم ينقلوا

صلى الإلٰه عليهم من فِتيةٍ
وسقَى عظامهم الغمام المسْبل

صبروا بـ«مؤتة» للإلٰه نفوسهم
حذر الردى ومخافةَ أن ينكلوا

(١)أتمَلْمَلُ في مضجعي.
(٢)بنات نعش: نجوم الدُّبّ الأكبر.

فمضوا أمام المسلمين كأنهم
فِنَقٌ[1] عليهن الحديد المرفّلُ

إذ يهتدون بـ«جعفر» ولوائه
حيثُ التقى وعْث الصُّفوف[2] مجدَّلُ

فتغيّر العُمر المثير لِفقْدِهِ
والشمس قد كسفت وكادت تَأْفلُ

قَرْمٌ علا بنيانه من هاشم
فرعاً أَشَمّ وسُؤْدداً ما يُنقلُ

قوم بهم عصم الإلٰه عباده
وعليهم نزل الكتاب المنزلُ

فضلُوا المعاشر عزَّةً وتكرُّماً
وتغمّدت أحلامهم من يَجْهلُ

---

(١) فنق: جمع فنيق، وهو الفحل من الإبل.
(٢) وعث الصفوف: اختلاطها والتحامها حتى يصعب الخلاص من بينها.

لا يطلقون إلى السّفاه حُباهُمُ
وترى خطيبهم بحقدٍ يفْصلُ
بيض الوجوه ترى بطونَ أكفِّهم
تنْدى إذا اعتذر الزمان الممحِلُ
ويهديهم رضى الإلٰه لخلْقِهِ
وَبِجِدِّهِمْ[1] نصر النبيُّ المرسَلُ

ماذا قال «أبو نعيم» في «الحلية»[2].

عن «**عبد اللّه بن رواحة**»؟؟

ومنهم [أي من الأولياء] المتفكّر عند نزول الآيات، والمتصبِّر عند تناول الرايات[3]: «عبد اللّه بن رواحة» الأنصاري ـ استشهد بـ«البلْقاء» زاهداً في البقاء، راغباً في اللّقاء.

---

(١) بجدّهم: بشجاعتهم وإقدامهم.

(٢) [حلية الأولياء] لـ«أبي نعيم الأصفهاني» [ج: ١] [ص ١٣٣].

(٣) إشارة إلى يوم «مُؤْتة».

وقد قيل: إن التّصوّفَ الوْطء على جَمْر الغضا، إلى منازل الأُنْسِ والرِّضى.

حدثنا «محمد بن أحمد بن الحسن»؛ حدثنا «محمد بن عثمان بن أبي شيبة»، حدثنا «الحسن بن سهل»، حدثنا «عبد الرحمٰن بن محمد المحاربي» عن «محمد بن إسحاق» عن «محمد بن جَعْفر بن الزبير» عن «عُروة بن الزبير» قال:

لما أراد «ابن رواحة» الخروج إلى أرض مؤتة من الشام أتاه المسلمون يُوَدِّعونه... فبكى...، فقالُوا له: ما يُبكيك؟ قال: أما واللَّه ما بي حُبُّ الدُّنيا ولا صبابة لكم، ولكن سمعتُ رسول اللَّه ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، فقد علمتُ أني وارد النار ولا أدري كيفَ الصَّدَر بعد الورود.

حدثنا «فاروق بن عبد الكبير» حدّثنا «زياد بن الخليل» حدثنا «إبراهيم» حدثنا «محمد بن فليح»، حدثنا «موسى بن عقبة» عن «ابن شهاب الزَّهْري» قال: زعموا أن «ابن رواحة» بكى حين أراد الخروج إلى «مؤتة»، فبكى أهله حين رأوْه يبكي...، فقال: واللَّه ما بكيْتُ جَزعاً من الموْت ولا صبابةً لكم، ولكني بكيْتُ من قول اللَّه عَزَّ وجَلّ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] فأيقنْتُ أني واردها، ولم أدْرِ أأنجو منها أم لا؟؟

حدثنا «حبيب بن الحسن»، حدثنا «محمد بن يحيى» حدثنا «أحمد بن محمد بن أيوب» حدثنا «إبراهيم بن سعد» عن «محمد بن إسحاق» حدثني «محمد بن جعفر بن الزبير» عن «عروة بن الزبير» قال:

لما تجهّز الناس وتهيّؤوا للخروج إلى

«مؤتة» قال [رسول اللَّه ﷺ] للمسلمين صحبكم اللَّه، ودَفَعَ عنكم، قال عبد اللَّه بن رواحة:

لكنّني أسأل الرحمٰن مغفرةً
وضربةً ذات فرع تَقْذِفُ الزَّبدا[١]
أو طعنة بِيَدي حران[٢] مجهزة
بحربةٍ تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جَدَثي[٣]
أرشدك اللَّه من غازٍ وقد رشدا

قال ـ أي «عروة» ـ ثم مضوا حتى نزلُوا أرض الشام، فبغلهم أن «هِرقْل» قد نزل من أرض «البلْقاء» في مائة ألْفٍ من الروم، وانضمَّت إليه المستغْربة من «لَخْم» و«جذام»

(١)ذات فَرْع: ذات جَرْحٍ بالغ. تقذف الزّبدَا: رَغْوة الدم.
(٢)بيدي حرّان: بيديْ عَدوٍّ حاقدٍ.
(٣)جدثي: قبري.

و«بلْقين» و«بَهْراء» و«بلْي» ـ في مائة ألف.

فأقاموا ليلتيْن ينظرون في أمرهم وقالوا: نكتب لرسول اللَّه ﷺ فنخبره بعددِ عدوِّنا، قال ـ أي «عروة» ـ: فَشَجَّع «عبد اللَّه بن رواحة» الناس... ثم قال: واللَّه يا قوم إن الذي تكرهون للَّذي خرجْتُم له تطلبُون الشهادة، وما نقاتل العدوَّ بعدَّةٍ ولا قوَّة ولا كثرةٍ، ما نقاتلهم إلَّا بهذا الدين الذي أكرمنا اللَّه به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنييْن: إما ظهور، وإما شهادة؛ فقال الناس: قد صدق واللَّه «ابن رواحة»، فمضى الناس[1].

حدثنا «محمد بن أحمد بن الحسن» حدثنا «أبو شعيب الحرّاني، حدثنا «أبو جعفر النّفَيْلي» حدثنا «محمد بن سلمة» عن «محمد بن إسحاق»، حدثني «عبد اللَّه بن أبي بكر» أنه حَدّثه عن «زَيْد بن أرقم» قال:

---

(١) السيرة لابن هشام [٢ ـ ٢٥٢ ـ ٢٥٥].

كنت يتيماً لِـ«عبد اللَّه بن رواحة» في حِجْرِه، فخرج في سَفرتِهِ تلْك مُرْدِفي على حقيبة راحلتِهِ، فواللَّه إنّا لنسير ليلةً إذ سِمعْتُهُ يتمثّل بأبياتِهِ هذه:

إذا أدنيتني وحملت رحْلي
مسيرة أرْبعِ بعد الحساء

فشأنكِ فانْعمي وخلاكِ ذَمٌ
ولا أرجع إلى أهلي ورائي

وآب المسلمون وغادروني
بأرض الشام مُشتَهِي الثواء

وردّكِ كل ذي نسبِ قريب
إلى الرحمٰن منقطع الإِخاء

هنالك لا أُبالي طَلْع بَعْل
ولا نَخْلِ أسافلها رواء

فلما سمعتُهُنَّ بكيْتُ . . .

فخفقني بالدّرّة وقال: ما عليك يا لُكَعُ أن يرزقني اللَّه الشهادة وترجع بيْن شَعبَتي الرَّحْل[١] . . . !

قال «محمد بن إسحاق»:

وحدثني «يحيى بن عبّاد بن عبد اللَّه بن الزُّبَيْر»، حدثني الذي أرضعني، وكان في تلك الغزاةِ، قال:

لما قُتِل «زيْد» و«جَعْفَر» أخذ «ابن رواحة» الراية ثم تقَدَّم بها وهو على فرسِهِ، فجَعَل يَسْتنْزِل نفسه ويتردَّد بعض التردُّد؛ ثم قال:

أَقْسَمْتُ يا نَفْسُ لَتنْزلنّه
لَتَنْزلنّه أو لتكرهنّه

إن أجلب الناس وشدُّوا الرنَّة
مالي أراكِ تكرهين الجنة

(١)رغم إسناده الضعيف، إلا أن كثرة الروايات تتضافر لتؤيّده وتقوّيه .

لطالما قد كُنت مطمئنة
ما[١] أنت إلا نطفة في شنّة

وأضاف:

يا نَفس إلا تُقْتلي تموتي
هذا حمام الموْت قد صليتِ
وما تمنّيتِ فقد أُعْطيتِ
إن تَفْعلي فعلهما[٢] هُديتِ

ثم نزل، فلما نزل أتاه ابن عمٍّ له بعظم من لحم، فقال: شُدَّ بهذا صُلبَك فإنّك قد لاقيْتَ من أيامك هذه ما قد لقيت...!

فأخذه في يده، ثم انتهش[٣] منه نهشةً، ثم سمِع الحطمة[٤] في ناحية الناس، فقال؛

(١)[هل] بدل [ما].
(٢)يعني صاحبيْه: «زيداً» و«جعفراً».
(٣)وفي روايةٍ: انتهس، والمعنى واحد.
(٤)الحطمة: شدّة القتال في الالتحام.

ـ يخاطب نفسه ـ: وأنْت في الدُّنيا. . .؟!

ثم ألقاهُ من يده، ثم أخذ سيْفه فتقدَّم، فقاتل حتى قُتل ـ رضي اللَّه عنه ـ.

ولما أُصيب القوم قال رسول اللَّه ﷺ فيما بلغني:

«أخذ «زيد» الراية فقاتل حتى قُتل شهيداً، ثم أخذها «جعفر» فقاتل بها حتى قُتل شهيداً» ثم صمت رسول اللَّه ﷺ حتى تغيَّرت وجوهُ الأنصار وظنُّوا أنَّه قد كان في «عبد اللَّه» بعض ما يكرهون. . .!

ثم قال ﷺ:

«ثم أخذها «عبد اللَّه بن رواحة» فقاتل بها حتى قُتل شهيداً»(١).

ثم قال ﷺ:

«لقد رُفِعُوا لي في الجنَّة فيما يرى النائم

(١)إسناده ضعيف [انظر سيرة ابن هشام: ٢، ٢٥٦].

علـى سُـرُرٍ مـن ذهـب، فـرأيـتُ فـي سـريـر «عبد اللَّه» ازوراراً عن سرير صاحبيْه. . .، فقُلْتُ: عَمَّ هـذا؟ فقيل لي: مضيا وتردَّد «عبد اللَّه بن رواحة» بعض التردُّد».

حدثنا «سلمان بن أحمد»، حدثنا «إسحاق بن إبراهيم» عن «عبد الرزاق» عن «ابن عييْنة» عن «ابن جَدْعان» عن «سعيد بن المسيّب» قال: قال النبي ﷺ: «مَثَلُوا لي في الجنّة في خَيْمةٍ من دُرَّةٍ، كل واحد منهم على سرير، فرأيْتُ «زَيْداً» و«ابن رواحة» في أعناقهما صُدود[١]، وأما «جعفر» فهو مستقيم ليس فيه صدود، فسألتُ. . .، فقيل لي: إنهما حين غشيهما الموْت كأنَّهما أعرضا، أو كأنهما صَدا بوجوههما، فأما «جعفر» فإنه لم يفعل»[٢].

---

(١) الصدود: الميْل.

(٢) الحديث إسناده ضعيف لإرساله، ولضعف «علي بن زيد بن جدعان» [الحلية: (ج١١) (ص ١٣٦)].

قال «ابن عيَيْنة»: فذلك حين يقول «ابن رواحة»:

أَقْسَمْتُ يا نفس لتنزلنّه
الطاعة منك أو لتكرهنّه
فطالما قد كُنتِ مطمئنَّة
«جَعْفَر» ما أطيب ريح الجنَّة

مِنَ الدِّيوان:

تَذَكَّرَ بَعْدَما شَطَّتْ نجوداً
وكانت تَيَّمَتْ قَلْبي وليدا[1]

(١) على نَسَق الشعراء السابقين وَدَرْبهم ومطالعهم في قصائدهم نَهَجَ «عبد اللّه بن رواحة» نفس المنهج، ولعلّه قال ما قال في زَمَن ما قَبْل إسلامه، فقد عاش في الجاهلية زمناً ـ لا بأس به ـ؛ فتأثر بالأسلوب.
معاني الكلمات: شَطَّت: بعدت ونَأَتْ. النجود: مفردها نجد، وهو ما ارتفع من الأرض. تَيَمَتْ: فتَنَتْ.
ومعنى البيت أنّه تذكَّر محبوبته وقد بَعُدتْ، ومن قَبْلُ فَتنَتْ قَلْبه على حُبِّها.

كَذي داءٍ غدا في النّاس يَمْشي
ويَكْتُم داءَهُ زَمَناً عميدا[١]

تصيَّدُ عَوزة الفِتيانِ حتى
تصيدَهُمُ وتَشْنأُ أن تصيدا[٢]

فقد صادت فؤادَكَ يوم أبْدَتْ
أسيلاً خدّها صَلْتاً وجيدا[٣]

تُزَيِّن مغقِد اللّبات منها
شُنُوفٌ في القلائد والفريدا[٤]

(١)ومثّل لحالِهِ كَأنَّه مُصابٌ بمرضٍ يَمْشي بيْن الناس وهو يكتم هذا المرض ولا يُظهره وقتاً. عميداً؛ أي: زمناً طويلاً.

(٢)هذه المحبوبة تتصيّدُ مكان الضَّعْفِ في الفِتْيان فَتَصْرعهم في حُبِّها... تتصيَّدهم؛ ولكنها هي تَكرَهُ أن تُصادَ وأن تكون طريدةً.

(٣)**معاني الكلمات**: صادت: ملكتْ وأسَرَت. أسيلاً: الخد الأسيل: الناعم الطويل طُولاً يزيده جمالاً. صَلْتاً: يعني: جبينها الواضح، جيدها: عُنُقها فالوجْه من قِمة الرأس إلى أسْفلِ الصَّدْر معقد الفتنةِ والجمال.

(٤)معقد اللبَّات: العُنُق، حَيْث القلائد والعُقُود. والشّنُوف: الأقْراط: (الْحَلَق) تتدلى من الآذانِ. تلك هي زينتُها، مما يزيدها جمالاً إلى جمالٍ، وبهاءً إلى بهاء.

فإِن تَضنُنْ عَلَيْك بما لديْها
وتَقْلِبْ وَصْل نائلها جديدا[1]

لَعَمْرُك ما يُوافِقني خَليلٌ[2]
إذا ما كان ذا خُلْفٍ كَنُودا

وقَدْ عَلِمَ القبائلُ، غَيْر فَخْرٍ
إذا لم تُلْفَ مائلة ركُودا

(١)وهي رغم كل هذا الحبّ والشّوْق قد تَبْخل عَلَيْك بما أُوتيتْ من حُسْنٍ دلالاً وافتخاراً . . ، وتتجاهل كُلّ ما لديك قبْل يَوْم وصلها .

(٢)**معاني الكلمات**: الخليل: الصاحب والصديق. الخُلْفُ: المخالفة. الكَنُود: الجحود.
إذا استحكم الحِقْد والحسد في قلْب صاحبٍ دعيّ فهو يُنْكِرُ عليَّ كُلَّ ما لديَّ مِنْ مكارم وفضائل.
هنا يدخُلُ «عبد اللّه» في جَوّ جديد. . . ، منتقلاً من الغزل إلى الفَخْر . . ، فيقول بأن كل القبائل تَعْلم أنها إن فقدت المأكل في ديارها وجاعتْ . . . ، فإنها ستَجِدُ ذلك عند قومه . . . في [ركودٍ]: جفناتٍ ملآى بالطعام.
خاصَّة إذا ما حَلَّ فَصْل الشّتاء [الشّتوات] فنحْنُ أَهْلُ حَسَبٍ . . . وجودٍ . . . ! يعرفه القاصي والداني؛ لا نَبْخل ولا نمنع رِفْدَنا أحداً يطْلُبُه .

بَـأَنّـا تُـخْـرِجُ الـشَّـتـواتُ مِـنّـا

إذا ما اسْتَحْكَمَتْ حَسباً وجودا

قُـدُورٌ تـغْـرق الأوصـال فـيـهـا

خَضِيبٌ لَوْنُها بِيضاً وسُودا(١)

متى ما تأتِ (يَثْرِبَ) أَوْ تَزُرْها

تَجِدْنا نَحْنُ أكْرَمَها وُجُودا

وأَغْلَظَها على الأعْدَاءِ رُكْناً

وأَلْيَنها لِباغي الخَيْر عودا

---

(١)**معاني الكلمات**: خضيب لونها: مختلط؛ والأَوْصال: لِلذّبائح . . .،
يَثْرب: المدينة ـ وكان هذا اسْمها قبل الهجرة إليها، ثم سُمّيت بـ«المدينة» مدينة رسول اللّه ﷺ، كما سماها ﷺ بـ«طيْبة».
إذا أتيتها زائراً لقيت منا حُسْن الضّيافة، بل أَجْود المضيفين وأكرمهم. لكنها ـ في نفس الوقت ـ لا تَقْبَلُ الضَّيْم ولا العُدْوان، فرُكْنُها غليظ على الأعداء، شديد اللُّيُونة لِلأَحِبَّة.

وأخْـطَـبـهـا إذا اجْـتَـمـعُـوا لأَمْـرِ
وأَقْـصَـدَهـا وَأوفـاهـا عُـهـودا[١]

إذا تُـــدْعـــى لِـــثَـــأرٍ أو لـــجـــارِ
فَـنَـحْـنُ الأكْـثَـرُونَ بـهـا عـديـدا

متى ما تدَعُ في «جَشْم بن عَوْفِ»
تَـجِـدْنـي لا أَغَـمَّ ولا وَحـيـدا

---

(١) **معاني الكلمات**: أقصدها: أكثرها قصائد... كناية عن كثرةِ الشعراء فيها، وبلوغهم المراتب العُلْيا بَيْن المعاصرين لهم.
«جَشم بن عوف»: قبيلة «عبد اللّه بن رواحة» التي ينتسبُ إليها.
الأغمّ: المجهول.
ويزيد «عبد اللّه» في الفَخر...، فيحْكي أنهم في المدينة (يثرب) أخطب الناس، وأكثرهم قوْلاً في الشِّعْر، وأصحاب عُهودٍ لا ينفكُون عنها.
وأنهم إذا ما دعاهم جارٌ لهم ـ من الأعراب ـ لبَّوا نداءَه...!
ولا ينامون على ثأرٍ أبداً...!
ويخاطب فيقول: إذا ما ناديْتني في «جشم بن عوف» ـ قَوْمي وعشيرتي ـ قاموا كلهم غضاباً معي، يُؤازروني ويُساعدوني.

وحَوْلي جَمْعُ «ساعِدة بن عمرو»[(١)]

و«تَيم اللّات» قَدْ لَبِسُوا الحديدا

زَعمتُم أنما نِلتُم مُلُوكاً

ونزعُم أنما نلْنا عبيدا

(١)**معاني الكلمات**: «ساعدة بن عمرو»: بنو ساعدة.
و«تَيم اللّات»: اسم لقبيلة لبسوا الحديد: كناية عن الدُّروع.
وَتْراً: انتقاماً.
المسود والمسوّد: السيّد الحاكم والذين يَحْكُمهم.
يقول «عبد الله»:
بالإضافة إلى قومي وعشيرتي «بنو جشم بن عوف» هُناك أحلاف لنا بحكم القرابة أو المصاهرة أو النَّسَب، أو التحالف، هم «بنو ساعدة بن عمرو» و«تَيْم اللّات»... هؤلاء يهبّون لنجدتنا، كما نهب لنجدتهم.
تزعمون يا هؤلاء أنّكم في غزوكم لنا وغدركم بنا قد نلْتُم ملوكاً...،
أما نَحْنُ في الانقضاض عليكم إنما أنتم عبيد ملكناكم وأمَرْناكم واستخدمناكم...، فأيْن أنْتُم مِنّا؟!
ونكتفي نَحْنُ بما عليه من سؤدد ومجد، ولا نريد أحلافاً جديدة، لأننا لا نحمل في قلوبنا وتْراً على أحد، إذ كفانا أننا نِلْنا السيّد والمسود...!

وما نَبْغي من الأحْلافِ وَتْراً
وقد نِلْنا المسوَّدَ والمَسودا

وكان نساؤُكم في كُلِّ دارٍ
يُهرِّشْنَ المعاصِمَ والخُدودا[(١)]

تركنا جَحجَبى كبنات فَقْعٍ
وَغَوْغا في مجالسها قعودا[(٢)]

ورهْط «أبي أُميَّة» قد أَبَحْنا
و«أوْس اللَّه» أتبعْنَا «ثَمُودا»[(٣)]

---

(١)معاني الكلمات: يُهرِّشن: يخدِّشْنَ. المعاصم: جمع معْصَم: وهو موضع السِّوار من الساعد.

(٢)بنات فَقْعٍ: الكُمَأة (مثل يُضْرب على الذلَّة).
غَوْغا: من الغَوْغاء...، اختلاط الكلام بالصياح والعويل، فلا يُفْهَمُ مِنهُ شيء.

(٣)رهْط الرَّجُلِ: قومه وجماعته.
أوْس اللَّه: الأوْس.
[يبدو أن الحرب كانت بَيْن قبيلتَيْ «يثرب»: الأوْس والخزرج].
وكانت كثيراً ما تقع بين القبيلتيْن بتحريضٍ من يهود يَثْرب، وكانوا هم المُستفيدين.

وكُـنْـتُـم تـدَّعـونَ يـهـود مـالاً
ألان[1] وجـدتُـمُ فـيـهـا يـهـودا
وقـد رَدُّوا الـغـنـائـم فـي طـريـفٍ[2]
ونـحّـامٍ[3] ورهْـط «أبـي يـزيـدا»[4]

---

(١) **معاني الكلمات**: الان: تخفيف لِـ: الآن.

(٢) الطريف: الجديد.

(٣) نَحام: بخيل كثير البُخْل، إذا طلبْتَ منه شيئاً كثُر سُعالُه عندها.

يَسخر «عبد اللّه» من «الأوْس» الذين كانوا يَدَّعون محالفة اليهود لهم.

وهاهُم يسخرون مِنكم الآن وقد ردُّوا طريف ما حصلوا عليه إلى تليد ما عندهم؛ وأنْتُم تعرفون مَبلغَ بُخلهم وشِدَّة حِرْصِهم على المال، وعلى السُّحْت.

(٤) جمهرة أشعار العرب لـ«أبي زيد عمر بن أبي الخطّاب القرشي» [ص ٢٨٩].

كلمةٌ لا بُدَّ مِنْها...!

كلمةٌ لا بُدَّ مِنْها...!

كان «عبد اللَّه بن رواحة» ـ رضي اللَّه عنه ـ مقدَّماً عند رسول اللَّه ﷺ عنه، وهو أحَدُ النُّقباءِ على قومِهِم يوم «بَيْعَة العقبة» ـ الثانية ـ.

وكان مِمَّنْ شهِدَ بَدْراً، فهو عقبيّ بدْري . . . !

ثم إنّه ـ رضي اللَّه عنه ـ كان حامل البُشرى إلى المدينة بهزيمة قريش وانتصار المسلمين . . . !

ولقد خَلّفَه رسول اللَّه ﷺ على «المدينة» أميراً في إحدى غزواتِهِ ﷺ . . . !

كما انتدبَهُ على رأْس ثلاثين من فرسان

المسلمين إلى «خيبر» لاستقدام «أسَير بن رزام»[١] . . .

ثم كان ـ رضي اللَّه عنه ـ ثالث الأمراء المشتهرين يوْم مُؤْتة . . . ! «زيد بن حارثة» و«جعفر بن أبي طالب» و«عبد اللَّه بن رواحة» .

ولقد كان شِعْرُهُ زَفَراتٍ تختلج في صَدْره فينطق بها لسانُهُ . . . ، وكان إسلامُهُ وإيمانُهُ وحُبّه لرسول اللَّه ﷺ شاهداً في كلّ كلمةٍ نطَقَ بها . . أو ارْتَجَز .

وأكثر ما قالَهُ من الشِّعْر ـ وهو قليل ـ بَعْد إسْلامِهِ . . . !

أما في الجاهلية . . . فنادراً ما تعثر له على قصيدةٍ .

---

(١) أشرنا إلى ذلك بالتفصيل .

ولا أشُكُّ إطلاقاً بأن لِـ«عبد اللَّه» رضي اللَّه عنه، شِعْراً وقصيداً فيما سَبق، خصوصاً وأنَّه كان من المقدَّمين في قومه «الخزرج» . . . !

«الأوس» و«الخزرج» هما: ابْنا «عمرو مُزَيْقِيَا عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيْس بن ثعلبة بن مازن بن الأزْد».

أصلهم من اليَمَن. .، نزلُوا ضواحي المدينة. . .، وعاشوا حياةً صعبةً في ظِلِّ تحكُّم اليهود فيها [قَيْنُقَاع] و[النَّضير] و[قريْظة].

ثم إنهم اشتدَّت سواعدهم، واستطاعوا أن يكونوا أصحاب نفوذٍ. . . !

لكن اليهود لم يُفْلتوهم ولم يتركوهم، فكثيراً ما دَسُّوا بينهم. . . حتى وقعت الوقائع، وأشهرها:

١ ـ حَرْبُ «سُمَيْر» وكانت الغلبة فيها للأوْس على الخزرج.

٢ ـ حَرْبُ «كعْبٍ» وكانت الغلبة فيها للخزرج على الأوس.

٣ ـ حَرْب حاطب وكانت الغلبة فيها للخزرج على الأوس.

٤ ـ يَوْم بُعاث وكانت الغلبة فيها للأوْس على الخزرج.

ومن عَجَبٍ أنّنا في تتبُّعنا لما قيل في تلك الوقائع والأيام من شِعْر لا نجد لِـ«عبد اللَّه بن رواحة» أثراً على الإطلاق. . .

رغم أن العنصرية العصبيّة للقبيلة كانت ذات تأثير شديد وفعّالٍ على نفوس شعراء القوْم. . .!

وقد قيل في ذلك الكثير. . .

وعلى سبيل المثال ما قاله «مالك بن العجلان».

وما قاله «درهم بن زيْد» .

وما قاله «أبو قيْس بن الأسْلت» .

وما قاله ـ بعدهم ـ: «قَيْس بن الخطيم» .

وما قاله ـ أيضاً بعدهم ـ «حسّان بن ثابت» .

وما قاله «أُحَيْحَةُ بن الجلّاح» .

وما قاله «عاصم بن عمرو» .

وما قاله «خُفاف بن ندبة» .

وما قاله «جعْفَرُ بن غلبة» .

وعلى كثرة القائلين، وفي مناسبات مختلفة، في الحروب التي كانت بَيْن الأخويْن: «الأوس» و«الخزرج» . . .، لم أَجِدْ لِـ«عبد اللَّه بن رواحة» ـ رضي اللَّه عنه ـ أثراً ولا ذِكْراً.

لَعلّه ـ رضي اللَّه عنه ـ قد احتفظ

بأراجيزه ونفثات صَدْرِهِ وشِعْره إلى ما بعد الإسلام. . .، وكان حُبّ رسول اللَّه ﷺ هو المسيطر على نفسه وقلبه. . .!

ولا نَنْسى أبَداً. . . مُراودته لِنَفْسِه يوْم «مُؤتة». . .

غفر اللَّه له، ورضي عنه، وحَشَرنا وإيّاه تحت لواء المصطفى ﷺ.

وآخر دعْوانا أن الحمد للَّه ربِّ العالمين.

فهرس المحتويات